سلم على والديّ

فانني اليوم شهيد

ومضي منشد الطائف

أحمد بن عبدالله يحيى الزهراني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

ففي كل يوم تختطف يد المنون بقدر من الله شابا، لا تعرف قدره الا بعد أن يمضي فاذا به عملاق يلبس أثواب شاب عادي بسيط، في الطائف وفي عائلة فيها شباب متجه الى ربه نشأ أحمد وترعرع، وأصبح الجهاد الافغاني حديث السامر في الطائف بل في معظم المدن الاسلامية، ولم تكن أسرة احمد بمعزل عن الأحداث العظام التي تهز الأرض بأسرها.

وأصبح الكلام عن الجهاد الافغاني شغل هذه الأسرة الشاغل، خاصة وقد علم ابناؤها الحكم الشرعي للجهاد بأنه فرض عين بالنفس والمال ولا حاجة لاستئذان الوالدين، ولإخوة أحمد مكانة اجتماعية ووظائف حساسة في بلدهم.

وأقبل أخ يكبره ليرى واقع الجهاد الافغاني وطبيعته والدور الذي يمكن أن يؤديه فرأيت أحمد لأول مرة في مخيم صدى في رمضان سنة ١٤٠٦هـ كان معه أخوه الذي يكبره وهو موظف صاحب عيال جاءني وجلس في خيمتي التي تجاور خيمته وسألني عن حكم الجهاد الافغاني بالنفس فأجبته: انه فرض عين ولا حاجة لاذن الوالدين واكتفى بهذا وعاد الى بلده مزمعا على الاستقالة ثم التفرغ للجهاد وكان بجانبه شاب صغير دائم الابتسامة فسألت عنه فعرفت أنه اخ لذلك الموظف المتزن الجاد. فقلت له: أنت ليث وسميته ليثا.

وتفارقنا في اواخر رمضان ودارت الايام ورأيت أحمد في جاجي في المأسدة وفي وسط الثلوج عاد والحنين يشده الى الشهادة والشوق يؤرقه للقاء الحور العين، وبقيت الابتسامة

والدعابة البريئة والمزاح الفطري الذي ينبعث من قلب بسيط ونفسية صافية لا تعرف التكلف ولا الالتواء ولا تتصنع الابتسامة الصفراوية فطرة سليمة ،وبساطة واضحة ،وهمّة عالية ،هذه كانت خلاصة نفسية أحمد ـ نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا ـ وهذا قوام شخصيته .

والذين رأوا جاجي في وسط الشتاء يدركون ضخامة العناء الذي يكابده من يعيش هنالك، ان درجة الحرارة لتصل الى ٢٠ تحت الصفر المئوي

ولقد رأيت الماء الساخن يتجمد مباشرة على وجهي ويتحول شعر اللحية بمجرد ملامسته الماء الى قضبان جليدية على الوجه . ان الحياة في تلك المنطقة في الشتاء من القساوة والشدة بحيث لايحتملها الاّ أفذاذ الرجال. ولقد عشت بينهم قرابة عشرة أيام كنت اغبط هؤلاء الشباب على احتمالهم وصلابتهم وصبرهم ،وكنت أعجب لاحتمالهم هذا الزمهرير الذي تلفح سبراته الوجوه حتى أثناء سطوع الشمس وقت الظهيرة .

وكنت أُكْبِر في هؤلاء الشباب نشاطهم ودأبهم لا يتوقفون منذ طلوع الفجر حتى غروب الشمس .

تراهم في أقرب نقطة الى العدو ليس بينهم وبين مراكز الشيوعيين سوى ثلاث كليومترات ونصف في قمة منعزلة عن المجاهدين وبينهم وبين مركز المجاهدين حوالي ١٤ كيلو مترا .

كنت اخشى ان يتخطفهم العدو والعدو امامهم قوي وبأسه شديد وكانت التوجسات تقلقني عليهم وكانت المخاوف تنتابني كثيرا أن تحدث عملية انزال مفاجئ عليهم فيمسكونهم أحياء فكنت أرجوهم أن يرجعوا قرب مقر المجاهدين ولكنهم يصرون على البقاء مهما كان الثمن ومهما جلّت التضحية .

سألت أحدهم: ماذا لو هجمت القوة (والقوة تعني مئات الدبابات والناقلات تساندها الطائرات وراجمات الصواريخ) هل تنسحبون؟ فنظر اليّ مبتسما وقال: سنتصدى لها باذن الله ونرجعها ،وعندها :جزيت على ابتسام بابتسام ،وسألت آخر : ماذا لو جاءت القوة ؟ فقال: الله في السماء ثم أبو عبدالله في الارض وتركتهم وهم يوصلون الليل بالنهار وهم يعجلون في تحصين موقعهم ،شباب مترفون،لم تعركهم الحياة بعد ،ولم يصلب عودهم كمايجب ولكن الهمم تطاول السحاب وتناطح السماء.

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الاجسام

كانوا يقولون: لابد من ازالة قواعد الشيوعيين هذه ولا بد من تأمين الطريق المؤدي الى لوجر والى كابل،وقلما تجد واحدا من هؤلاء الابطال لا يستعل ،نزل سبعة منهم ونصبوا خيمة على بعد مائتي متر من قواعد العدو وأخذوا يترصدونه فعجبت من جرأتهم وصبرهم وثباتهم ومكثوا طويلا والالسنة تلهج لهم بالدعاء :

كانما يردون الموت عن ظما
او ينشقون من البارود ريحانا

كان أحمد يبحث عن الموت،لقد انتظر طويلا يريد أن يخوض معركة فدفعه الشوق الى البحث عن مكان آخر غير جاجي فكان يقول: (هذه العملية ثم الى قندهار) ولكنه ـ كان يعلم أن الله يريد له غير ذلك أن يختاره الى جواره ـ ان شاء الله ـ وكما نأمل وندعو ان يكون الله قد تقبل شهادته .

كان ذا صوت ندي بالقرآن الكريم، وذا لحن شجي بالاناشيد فكان يروح عن اخوانه ويخفف من ثقل اللأواء عليهم ببعض الاناشيد، كانت غرفة الطائف تشتاق الى امامته لهم في الصلاة ،وكان الشيخ تميم يحب سماع صوته ويرتاح للصلاة وراءه ، وعرفت فيما بعد أن له أشرطة تباع في الاسواق في الطائف وغيرها ،وما أجمل

الأذان من فم أحمد .

وقبل العملية بيوم كنت معهم وبت عندهم وحدثني أحد زملائه الذي حرس معه أن فترة الحراسة ـ ليلة الجمعة ـ قضاها بالتهجّد .

وحدثني أبو فيصل: رأيت أحمد قبل شهر فاهداني مصحفا وقال بشرط: أن تدعو لي بالشهادة كلما فتحته للتلاوة ،لقد كان أحمد واخوه محمد يُعرفان في الطائف كلها بأنهما الدعاة فكانا دائبين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي صباح الجمعة ١٩ شعبان سنة ١٤٠٧ الموافق ١٧ ابريل ١٩٨٧ مرّ على شباب يتحدثون ويمزحون فقال لهم: اشتغلوا بذكر الله .

وقال لآخرين: اليوم الجمعة لا تنسوا قراءة سورة الكهف كان أحمد يحس ـ والله اعلم ـ ان هذا اليوم قد يكون آخر عهده بالدنيا فودع اخاه ابا حذيفة ـ من الطائف ـ قائلا: سلمّ علي والديّ فاني اليوم شهيد .

واصطفت الجموع لتنطلق للعملية وبدأت الدموع الحرّى تهطل من العيون وما آخر وما أمر لحظات الوداع وخاصة وكل واحد يتوقع ألا يرى أخاه بعد تلك اللحظة ،ولكن بعض الشباب لم يستكملوا تدريبهم واستعدادهم بعد للقاء العدو فحرمهم المسؤول أن يشاركوا وصاروا يبكون ويرجون هذا وذاك أن يتوسط لدى المسؤول لعله يسمح لهم بالمشاركة .

ومضت الجموع وفي ساعة الاستجابة يوم الجمعة في السادسة مساء انفتحت النيران من كل مكان وبدأت ارقب العملية والنيران تحرق مراكز العدو وتلتهم بألسنتها المتطاولة قواعدهم وكان أحمد في النقاط المتقدمة يرقب رماية مدفع ٨٢ ويطل على أماكن سقوط القذائف ويطلق أحيانا على المدفع ، وانطلق الى الامام ليشفي صدره باحتراق اعداء الله وصاح (خوب) أي ممتاز ،ومع غروب شمس يوم الجمعة انقطع صوت أحمد وناداه اخوانه ولم يرد عليهم واقترب يحيى من أحمد فوجده مضرجا بدمائه معفرا بالتراب (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، ان كان في الحراسة كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استأذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع) .

ومضى ليث المأسدة ،ووصل الخبر ونحن ننتظر أنباء المعركة عن كثب بأن أحمد على مدفع ٨٢ قد استشهد وانفجر ابناء الطائف باكين لانهم يعرفونه منذ نعومة اظفاره ثم بدأ الشباب يهنئون بعضهم بعض باستشهاده ويتمنون أن يلقوا الشهادة ويتقبلها الله منه ومنهم .

واصطف الشباب يطالبون باحضار الجثة في بهيم الليل الداجي والقذائف تمطر المنطقة بوابل نيرانها ،واصرّوا على احضاره ليودّعوه فقلنا لهم: من الخطر الآن أن نتحرك بسبب عدم وضوح الطريق ولأن المعركة شديدة وكذلك فان السنة أن يدفن القتلى في مصارعهم (اماكن قتلهم)، جاء في زاد المعاد ٣/ ٢١٤:

(ان السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم ولا ينقلوا الى مكان آخر ،فان قوما من الصحابة نقلوا قتلاهم الى المدينة فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: بالامر

ومضي منشد الطائف

برد القتلى الى مصارعهم).

وتحت قذائف نيران العدو وفي جنح الظلام يتسلل بعض الشباب ويحضرون جثة احمد ،فوجدوه مبتسما كحالته التي فارق عليها الحياة .

ويشهد لي ابو حذيفة أنه شمّ رائحة طيبة تخرج من جسده وهناك ومقابل الغرفة التي كان يقيم فيها أحمد اثناء رباطه حفر الجدث (القبر) وحمله أبو حذيفة ليواري جثمانه الطاهر في التراب ويخلي بينه وبين رب العالمين والعيون لا تملك أن تمسك دموعها الهاتنة وان كانت القلوب مستبشرة فرحة بهذا المصير الذي لقيه أحمد ،وحق لابي حذيفة ولامثاله ممن عرفوا حياة أحمد الناعمة الوادعة الهادئة وفي هذه اللحظات أن يمر في خيالهم صورة مصعب بن عمير وأن يودعوه بتلك الكلمات الخالدة التي ودع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب يوم أحد:(لقد رأيتك في مكة وما في مكة شاب أرق حلة ولا أحسن لمة منك وها أنت الآن أشعث في بردة) ،فهنيئا للطائف بشهيدها ومنشدها وموّذنها وهنيئا لوالديه وأقاربه الشهادة والشفاعة ان شاء الله.

ومضى ليث المأسدة :

فهنيئا لابيه واخوانه الشفاعة ،فهي مفخرة الدنيا وعزها ونعيم الآخرة وخلودها ـ ان شاء الله ـ.

فيا اشقاء أحمد؛ طلال ويحيى وسعيد وعمر وعبدالوهاب ومحمد وبندر ،هذا الليث(أحمد) قد شق الطريق امامكم فهل انتم على اثره سائرون ويا أصدقاء أحمد هذا أحمد قد مضى بعد أن شهد عليكم وأقام الحجة عليكم فليس لكم في القعود بعده عذر .

ويا أرحام أحمد ما كان لكم أن تتخلفوا عن هذا السبيل الذي ضمن الله سالكه في الدنيا والاخرة .

وندعو الله أن يجمعنا بأحمد في الفردوس الاعلى ■

رسالة الى أهل الشهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

العم الكريم عبدالله بن يحيى الزهراني حفظه الله ورعاه،

العمة الكريمة والدة الشهيد أحمد الزهراني حفظها الله،

الاخوة الكرام أشقاء أحمد ـ طلال، يحيى، سعيد، عمر، عبدالوهاب، محمد، بندر، حفظهم الله ورعاهم

شقيقات أحمد أعانهن الله وألهمهن الصبر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

ان الناس كلهم يموتون ولكن الشهداء هم الذين ينفردون بالمجد في دنيا الناس وبالفوز في الملأ الأعلى، ان الشهادة اختيار من رب العزة لصفوة خلقه ((وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء)).

ان الامم تحيا برجالها الذين يضحّون في سبيل نصرة مبادئها وارتفاع رايتها وصيانة مقدساتها وحماية أعراضها ،ولا خير في أمة تهضم حقوق مستضعفيها ،وتُداس قيمها وتُهدر دماؤها ولا تحمى نساؤها وظعائنها.

وكثير من القبائل أحيا ذكرها شاب ذو نخوة وحفظ لها وجودها وأدخلها سجل التاريخ.

وانتم جميعا كعائلة يعرفكم الناس بأحمد الذي جعل الله له لسان صدق في الآخرين فبذكره تذكرون،وبه تعرفون .

لقد نامت الأمة طويلا وغطّت في سبات عميق ولايمكن أن تستيقظ هذه الامة الا على صوت السلاح وسيلان الدماء ،فدماء هؤلاء الشباب الاطهار تحيي الامة من جديد وتعيد الحياة الى عروقها التي كادت تجف.

ان شجرة هذا الدين القويم لا تنبت ولا تترعرع الا اذا رويت بدماء الصادقين وبعرق المخلصين، فطريق هذا الدين طويل مفروش بالاشلاء مروي بالدماء وان اقرب طريق الى الجنة هو الشهادة في سبيل الله، وان في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله.

ان الجهاد اليوم باتفاق العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين (فرض عين بالنفس والمال ولا اذن للوالدين ولا للدائن على المدين ولا للزوج على زوجته)مع أنه لا يجوز أن تخرج الزوجة والأمرد الا بمحرم.

ان المقدسات التي سُلبت، والأموال التي نُهبت، والأعراض التي انتُهكت، والديار التي اغتُصبت، كل هذه تستغيث همم الشباب وعزائم المسلمين :

كيفَ القرارُ وكيفَ يهدأُ مسلمٌ والمسلماتُ مع العدوِّ المعتدِي

* * *

أَتُسبىٰ المسلماتُ بكلِّ ثغرٍ وعيشُ المسلمينَ إذن يطيبُ ؟

أَما للهِ والإسلامِ حقٌّ يدافعُ عنه شبانٌ وشيبُ

* * *

اذا كان أتراب أحمد وانداده (جيله) يلهون بتفحيط السيارات، فإن أحمد لا يلهو الا بمدفعه ورشاشه.

لئن كان الشباب يقضون اجازاتهم في عواصم الدول الكبرى في خضم بحر الجاهلية الآسن غارقين في وحل الجنس وسعار الشهوات، فان أحمد كان يقضي حياته على الثغور على قمم الجبال يستروح أريج الآفاق العليا ويبحث عن الموت مظانه.

أعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

ولئن كان الشاب في طيش الشباب لا ينام الا على الألحان الراقصة والموسيقى الصاخبة والصور المتحركة في الافلام الماجنة، فقد أبت عين أحمد الا أن تسهر في سبيل الله تحمي أعراض المسلمين ولايقطع آناء الليل الا بتسبيح أو تهجد أو استغفار.

وان كان الناس يبحثون عن المجد بالتزلف الى أهل الدنيا وبالتردد على أعتابهم، فان أحمد وجد أن المجد بأن يدوس على الدنيا بأسرها، فقد صغرت في عينه ولم يبقَ لها في قلبه أي تعلق، لقد علم الحديث الشريف جيدا : (ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس) .

وختاما ففي القلب حاجات كثيرة وفي النفس كلام كثير.. وفي الفؤاد آهات وحسرات نريد أن نبثها لكم وحسبنا هذه العجالة قائلين: ان القتل في سبيل الله اتمناه لابنائي جميعا فنرجوا الله ان يرزقنا الشهادة في سبيله، فهنيئاً لكم ابنكم في الدنيا عزا وثناء، وفي الآخرة شفاعة ورفعة - باذن الله تعالى - واختم رسالتي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشهيد: (للشهيد عند ربه ست - أو سبع خصال - يغفر له مع أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوته فيه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج باثنين وسبعين من الحور العين ويُشَفَّع بسبعين من أهل بيته)حديث صحيح.

وان شاء الله على هذا الطريق لسائرون ونرجو الله حسن الخاتمة،،،،،

أخوكم /عبدالله عزام

الثلاثاء ٢٣شعبان ١٤٠٧هـ

الموافق ٢١ابريل ١٩٨٧م